بشير مهدي .. مؤهلات السرد عن طريق الرسم

صلاح عباس

تبرز أهمية الفنون من خلال تواشجها مع الحياة وارتباطها الديناميكي بالمستجدات ، فسمو الفن وألقه مرتبط بمفعلات الحياة وتفهم ملغزات أسئلة الوجود الباحثة عن إجابات منطقية للمعاني الكامنة في الطبيعة البشرية أو المحيط البيئي الذي نعيش فيه أو نتأثر به .

الفنان بشير مهدي

من اعمال الفنان

وحين نتلقى الفنون الراقية ، المسوغة بأداء تقني متقدم فإننا سنولي أهمية قصوى لكل التفاصيل الداخلة في بنية العمل ،ولعلنا نستعير أجنحة تخييل الفنان ونحلق في عوالمه المختلفة التي لا تشبه عوالمنا وحياتنا الواقعية ، والفنان بشير مهدي أسس لنفسه مملكة افتراضية مبتكرة هيأت له حرية إطلاق أفكاره وتصوراته عن الوجود والصراع الدائر فيه منذ بدء الخليقة .

إننا بمواجهة لوحات مؤلفة بمنتهى الإتقان من جوانبها الفنية المتعددة وعناصرها الأساسية شكلا ومضمونا ، فثمة مطابقة بين مقصود الفنان وآلية اشتغاله على سطح اللوحة المتشكلة من بعدين ، وإكسابها بعدا ثالثا، غير أن مقدرة الفنان الهائلة على التجسيد ملكته حق التأثير المباشر على المتلقي الذي سيتفاعل مع أجواء اللوحة وسيتداخل بين وحداتها الصورية ومفرداتها الرمزية وسيستنبط صيغة أخرى للفهم الجديد ، الذي يقبل التصديق على الرغم من هول التصور والاحتمال .

لقد عني الفنان بشير برسم التفاصيل وأجزاء الأجزاء بطريقة الرسم الواقعي ،ذلك انه حافظ على تسمية مفردات اللوحة ووحداتها الصورية بأسمائها المعروفة وفق سياقات التجربة المعتادة في المعرفة الإنسانية ، بيد أن الفنان يعمل على وضع نقاط اختلاف وتباين على ترتيب الوحدات الصورية وتنظيمها بطريقة مفارقة أو متقاطعة مع الرؤية الواقعية ، وبذا فإن اللوحة الواحدة تمثل نصا بصريا مفتوحا يحتمل القراءة على أنحاء متعددة .

ربما يسلم المتلقي إلى قناعات راسخة وأكيدة عن مستوى الأداء المتقدم ، تخطيطا وتلوينا وفهما معمقا لقواعد الضبط في التصميم النهائي للوحة الواحدة ،وهذا أمر مفروغ منه نهائيا ، وبين مهارات التجسيد والتشكيل تتخفى غايات الفنان وتبرز أسئلته المريبة عن الطبيعة البشرية القاسية ، والمثيرة للهلع والمصير المحزن ، لا ليقدم رسما وثائقيا أو تسجيليا عن طبيعة الحياة السيئة ولكن ليعلن عن نبوءات وحدوس محتملة الوقوع في أي مكان وزمان على الأرض .

لعل المتابع لأعمال بشير مهدي يتوقع ملاحظة ضروب مختلفة من المنطلقات الفكرية والرؤيوية ،فلكل لوحة سمات متفردة وينبغي على المتلقي ملاحظة تاريخ إنتاج اللوحة لأن لكل تاريخ إيقاعا وتأثيرا وضغطا ذاتيا على الفنان ، بيد أن نقاط الاتقاء والعناصر المشتركة في أكثر اللوحات تظهر المميزات الأسلوبية للفنان ،ومن هذه العناصر المشتركة :

أولاً : العمل على المضاهاة والخلق الإبداعي المتأتي من مقدرة الفنان على تحدي المواد الخام وخلق إيهام بصري (بطريقة خداع البصر) ولكن ليس على شاكلة رسامي ((up art من جماعة (فازاريللي) وتطويعها وفق ما يشاء وكيف ما يريد ،لذا يمكن للمتلقي التحسس البصري بملمس القماش من النوع الحرير أو الزجاج من أنواع البلور أو الكريستال أو الخزف بأنواعه والحديد وغيره.

ثانيا : الياء المنظور البصري أهمية استثنائية مدعمة لتجسيد مساقط الضياء وانكسارات الظلال والتحسس بالمديات ، القريب والبعيد ، الضئيل والكبير ولكن بمعيارية الرسم الواقعي المعتاد .

ثالثا : التأكيد على تشارك عناصر الطبيعة مع البيئة، فالطبيعة تلوح من خلال علامات البيئة التي هي من عمل الإنسان ،وغالبا ما يركز الفنان على الإنشاء التصويري المفتوح ، ليس من خلال الغايات النهائية لتصور الفنان فحسب بل من خلال انفتاح الأبواب والنوافذ والستائر لخلق جو منسجم بين الداخل والخارج ، داخل الصورة وخارجها ، وداخل الإنسان وخارجه ،ولقد أكسبته هذه الطريقة قيما إضافية سمحت له بالجمع مابين جماليات المنظر الطبيعي وألقه المحبب دائما وبين قيم النص البصري بوصفه نوعا من التراجيديا الإنسانية المشبعة بالحزن والأسى .

فماذا نرى في الصورة ؟

في لوحة (TWEE RAARDEN EN TWEE APPELS)أنجزها سنة ١٩٩٨ / زيت على قماش قياس ١٠٠×٩٠سم جسد فيها الفنان معالم غرفة صغيرة تطل على فضاء خارجي من خلال وجود نافذة زجاجية وستائر بيضاء مفتوحة ،ففي احد جدران الغرفة لوحة معلقة مرسوم عليها حصان بلون ابيض يحدق في فرس حمراء تقف واجلة وحائرة في الطبيعة خارج أطر اللوحة ، وهنا نجد أن الفنان بشير مهدي استثمر طاقة الرمز وتضمين المفردات الصورية المفارقة ،فاللوحة المعلقة بدت وكأنها تبث الحياة للغرفة الصغيرة من خلال إطلاق الشعور الحيوي للجماد ومشاركته بالفعل الدراماتيكي إزاء الشعور بالرغبة والتواصل ،وتذكرنا هذه اللوحة بالقصة الشهيرة التي عرضها الروائي الروسي فيدور ديستوفيسكي على الأديب ليون توليستوي والتي تروي قصة حصان يأكل داخل الاصطبل فعلق تولستوي على هذه القصة قائلا لدستوفيسكي الذي كان شابا في مقتبل العمر :

أشك في أنك كنت حصاناً في يوم ما.

أو أنها تتناغم مع لوحة الانتظار لفائق حسن المجسدة لحصان هزيل يرمق بصره باتجاه حصان ميت ، إن الفنان بشير مهدي اشتغل بمنطقة ثقافية اللوحة تلك الثقافية المؤيدة بممكنات القراءة للنصوص الأدبية شعرا وقصة ورواية وأسطورة وفكرا فلسفيا متداخلا مع مفاهيم الحداثة وما بعدها.

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

غياب فنّ الغرافيتيّ في العراق

قدمتُ مرة من تونس، ماراً بعمّان، ثم الضفة الغربية، فعمّان مجدداً فبغداد. كانت "الثورة" التونسية قد أنجزت أعمالها الرئيسية، وكان من نتائجها انطلاق موجة لا سابق لها من الغرافيتي في شوارع المدن الرئيسية للتعبير عن شتى المواضيع السياسية والاجتماعية. كان من ثمار توسُّعها وأهميتها أن طالبا سجّل في الجامعة التي أعمل فيها مشروعه للماجستير من أجل توثيقها ودراسة "جمالياتها". لم أكن قد رأيت بعد جدران الأسمنت في بغداد، لكني رأيت جدار العزل الإسرائيلي العنصري المرعب حول القدس ورام الله وبيت لحم وغيرهما من القرى والبلدات الفلسطينية المحتلة. لم يقصّر "فنانو" الغرافيتي هنا أيضاً في استخدام الجدران، هذه وغيرها، للتعبير عن غضبهم وتحديهم ونقدهم ومزاجهم عبر الأشكال والألوان والتشكيلات. لم أستطع مغالبة نفسي قبل ساعة من عودتي إلى عمّان من التقاط صورة أمام غرافيتي حسبته ذا دلالة لعرفات مرسوم مباشرة قبل حاجز قلنديا الشهير الرئيسي المؤدي إلى القدس.

عندما خرجتُ من مطار بغداد تنبّهتُ على الفور أن جدران الإسمنت العراقية تتشابه بطريقة تثير الريبة مع الجدران الإسرائيلية كأنهما صُمّما من طرف خبير واحد، مع فارق كبير هو غياب واسع للغرافيتي مقارنة بما يراه المرء في تونس والأراضي الفلسطينية المحتلة. في المنطقة التي رأيتها ملياً شرق القناة في بغداد بدأت تظهر للعين ملامح غرافيتيّ خجول، كأنه لفرط تراجعه وقلة حضوره غير موجود فعليا. تظهر على الجدران بدلاً منه الملصقات و الإعلانات من كل نوع: الوفيات وافتتاح المعاهد الخاصة لتعليم الحلاقة والسياقة واللغات، الاستنساخ والتصوير والعقارات.. الخ. في مناطق أخرى أيضا هناك الكثير من الغرافيتي السياسي الدعائي، بعضه في سياق الطرفة العراقية: "حلاقة هاني، اطفر وتلقاني". بعضها طرفات كتابية ثقيلة وأخرى تقع في باب الشتيمة "البول هنا للحمير يا حمار". لا يرقى ما تراه في بغداد بحال إلى فن الغرافيتي، إلا في حالات قليلة، رغم وجود رسم على الجدران نراه هنا وهناك، وهذا هو بالأحرى رسم واقعي يتخذ الجدران فحسب حاملاً له بدلاً من الحوامل التقليدية. فن الغرافيتي شيء آخر يختلف بدرجات واضحة عن فن الرسم الواقعي.

من السهل الاستنتاج أن العراقيين غير ميّالين لممارسة هذا الفن رغم وجود المناسبة وتوفر الحامل المثالي الكونكريتي على طول آلاف الكيلومترات. إنه لا يستجيب لمزاج ثقافي يفضل، بشكل عام، فن الكتابة السهلة على عملية الرسم الصعبة عملانياً. لكنه أيضاً وفي المقام الأول غياب يدلّ على وعي جمالي لا يعرف أو يقدّر بعض الفنون المعاصرة حق قدرها. الغرافيتي فن الآني، المتوتر، والإنجاز التلقائيّ السريع، المشحون أصحابه بإرادة جامحة ورغبة للتعبير عن الذات عبر الواجهات الجماهيريّة العريضة، مع عدم اهتمام بالفن الرفيع أو المُنجَز الصلب قدر اهتمامه بالمؤقت والزائل، لأن استهدافاته ومحركاته تخرج من مكان آخر. إنه فن الكائنات المتحرّكة بدأب وليس فن الكسالى المكتبيين. إذا صح ذلك فإن لهذا الفن وجهة اجتماعية (حتى لا نقول سياسية) لم يعرفها علي الوردي ويدْرسها. ولعل فيها أمراً كان بإمكانه تحوير بعض استنتاجاته عن "العقلية" المهيمنة في ثقافة العراق الاجتماعي. زعمت الثقافة العراقية طيلة الثلاثين سنة المنغلقة الماضية إحاطتها بالمعارف، لكنها كانت تتلقى أطرافاً منها وتزعم ما تزعم. رأينا ذلك في الحقل النقدي على نحو صارخ، ونراه اليوم في الحقل التشكيلي. وليس بمستغرب أن ينتبه البعض فجأة ويتلقف غداً أفكار هذه الموضوع المنسيّ ويعزوها لنفسه مثلما شهدنا، في مناسبات كثيرة أخرى سابقة، ما فعل الكثير من النقد التشكيلي في العراق الذي تلقف من هنا وهناك أفكاره. فن الغرافيتي يغيب نسبياً في العراق في الوقت الذي يتوجّب أن يزدهر فيه. ولعل في ذلك، من جهة أخرى، تصوّراً خفيّاً عاماً عن "جلالة" مفترَضة لفن الرسم وضرورة عدم ابتذاله على حائط شعبي متلقٍ عابر. إذا صح وجود مثل هذا الاعتقاد فإننا ما زلنا في مفاهيم القرن التاسع عشر حتى لو زعمنا لفظياً أننا نتماهى مع آخر مستجدات الحداثة وما بعد الحداثة.

موسيقى السبت

كونشرتو العود ليوهان فريدريش فاش

ثائر صالح

اخترت اليوم عملاً للموسيقار الألماني يوهان فريديريش فاش الذي عاش بين ١٦٨٨-١٧٥٨. يعتبر فاش من الموسيقيين الألمان المهمين، إذ تعتبر أعماله من حلقات الوصل بين موسيقى الباروك والموسيقى الكلاسيكية، موسيقى عصر هايدن وموتسارت. تمتاز موسيقاه بعنفوانها وجمالها والنزعة التجريبية التجديدية، وميله إلى شغل الموضوع الموسيقي وتفاعله، بدلاً من الاهتمام الزائد بالزخرفة الباروكية، وهو أمر برز لاحقاً في الموسيقى الرومانتيكية.

كان فاش من معاصري باخ، ودرس في لايبتسيج على يد كريغر، ولاحقاً على يد عازف الأورغن الكبير يوهان كوناو. عمل في بلاط آنهالت – تسربست من سنة ١٧٢٢ حتى وفاته. كان باخ معجباً بموسيقاه، فقد نسخ خمساً من افتتاحيات فاش واحتفظ بها مع مخطوطاته. وافتتاحيات فاش جميلة جداً تستحق الاستماع العميق، وقد لاحظت أنه يكثر من استعمال ري الكبير في افتتاحياته، وهو سلم يناسب الكمان بسبب دوزان الكمان (صول ري لا مي) إذ تتناغم الأوتار في رنين تعاطفي جميل عند استعمال هذا المقام أو السلم. وسلم ري الكبير كان يدل على العظمة، وغالباً ما استعمله المؤلفون لتوقيع سلم الأعمال المكتوبة لأداة الترومبيت. وهذا هو توقيع سلم كورس هللويا الشهير في عمل هيندل الرائع في اوراتوريو المسيح. ويكثر فاش كذلك من استعمال سلالم سي وصول. كان عازفا جيداً على الكمان، لكنه أبدع في استعمال الأدوات الهوائية الخشبية مثل الاوبو والباسون بالدرجة الأولى، وكتب للفلوت والنحاسيات من قبيل الهورن الفرنسي والترومبيت.

تأسست جمعية فاش العالمية سنة ١٩٩١ في مدينة تسربست القريبة من ماجدبورغ بألمانيا، وتقيم الجمعية مهرجاناً سنوياً له في ذكرى ميلاده في ١٥ نيسان. وقد أقيم أول مهرجان له سنة ١٩٨٣. وستحتفل الجمعية بالذكرى ٣٢٥ لميلاده العام المقبل.

كونشرتو اللوت (العود) وكمانين وفيولا والقرار المستمر (تشيلو بيكولو) كتبها فاش في سلم ري الصغير الذي يعد من أكثر السلالم الأوروبية حزناً. وهو من السلالم التي استعملها باخ لكتابة عمله الشهير توكاتا وفوغا للاورغن، وكتب بيتهوفن سيمفونيته التاسعة أنشودة الفرح بهذا التوقيع.

متابعة

بـ"حن وآنه أحن" و"يم داركم"

القرغولي يكسر عنق الغربة في اتحاد الأدباء

"كنت أحلم وأمنّي النفس بأن أكون مستمعاً داخل قاعة اتحاد أدباء وكتاب العراق،فما أسعدني اليوم وأنا أجلس في هذه القاعة وأنا متحدث محتفى به من قبل أدباء العراق،من أنا حتى أحظى بكل هذا الحب والتكريم من قبلكم يا أدباء البلد وأساتذته"،كلمات بسيطة ولكنها عميقة بدلالاتها كعمق ألحانه التي حفرت في قلوب العراقيين أخاديد تؤوي سيمفونيات طرب عاشت وتعيش فينا عناوين ثابتة لزمن الفن الجميل،إنه الملحن العراقي طالب القرغولي ،الذي احتفى به ملتقى الخميس الإبداعي على قاعة الجواهري في الاتحاد العام لأدباء وكتاب العراق.

جانب من الاحتفال

بغداد/ يوسف المحمداوي

قدمت الجلسة بنجاح يستحق الإشادة الشاعرة والإعلامية آمنه عبد العزيز ،واصفة الضيف بقامة من قامات الفن العراقي،استطاعت على مدى قرون أن تنطلق بالأغنية العراقية الراسخة نحو سماء الإبداع والتألق، ثم تكلم المحتفى به عن رحلته وغربته في السويد قائلا"الغربة لايمكن أن تتجاهلها هناك،ليس بمقدوري أن أتحاشاها أو أتجاهلها،كانت صورة العراق تلاحقني في كل مكان،وكان البكاء سلوتي الوحيدة ومواساتي هناك،نعم كنت أبكي كأي طفل ،ولذلك وعلى الرغم من حصولي على اللجوء في السويد بعد أن بترت قدمي فيه،قررت العودة إلى العراق لأني أدرك تماما بأنه لاشيء سوى العراق من يقتل شكواي ويعوضني عما فقدت،واليوم وأنا أجلس بين أدباء العراق لا أخشى أن تبتر ساقي الثانية لأن محبتكم ستكون عكازتي التي أسير فيها"، تعالت صيحات الإعجاب وتسابق أكف الحضور بالتصفيق،ثم توالت كلمات المداخلات التي تصدرها الدكتور جمال العتابي والتي جاءت استذكاراً لقرية الغازية في الناصرية ،وهي القرية التي جمعت الملحن مع المتحدث حين كان طالب القرغولي معلما له في المدرسة الابتدائية"،وعلّق الفنان على الكلمة قائلا"لاكنت مدرسا للعتابي في الروضة...على الرغم من عدم وجود روضة في الغازية..ويضحك عاليا" !

القانوني طارق حرب أمتع الجمهور والضيف بمداخلته التي لا تخلو من الإطراء المستحق للملحن،وكلمات تدل على مكانته الكبيرة داخل القلوب التي حفظت وعشقت إرثه الموسيقي الثر.

المطرب جواد محسن،والإعلامي سامر المشعل وكذلك الشاعر سعد صاحب الذي أبدع بقصيدة شعرية خاصة بالفنان طالب القرغولي،بعدها قدمت الشاعرة آمنة الطفل الموهوب بيدر وهو ابن الشاعر والإعلامي غالي العطواني الذي أثار إعجاب وذهول الملحن والحضور بأغانٍ من ألحان الفنان طالب،حيث بدأ بـ"اعزاز والله اعزازٌ" التي كتبها الشاعر زامل سعيد فتاح ثم "حن وآنه أحن" وهي من روائع الشاعر الكبير مظفر النواب،ولم يكتف القرغولي بطبع قبلة إعجاب وتقدير على جبين الطفل بيدر،بل التفت للملحن محسن فرحان قائلا"والله يابه أحسن من ياس خضر"،ليضحك الجميع،ثم غنى الفنان جمال كريم إحدى الأغاني التي لحنها الفنان طالب القرغولي وأبدع في ذلك،وحين حاول تقبيله الملحن الكبير قام الفنان جمال بتواضع كبير بتقبيل يد الفنان القرغولي،الذي قدم بعضها بصوته الجميل مثل "يم داركم..." ثم طالبه الجمهور بأغنية جذاب على الرغم من ترديده كلمة"والله مابي حيل...والحيل الأول راح"،لكنه غناها بعذوبة جعلت الجمهور يردد معه كلمات الأغنية التي كتبها الراحل زامل سعيد فتاح،بعد ذلك اعتلى المنصة الملحن محسن فرحان مستذكرا ماضيا جميلا جمعه مع القرغولي،وللممازحة قال فرحان للقرغولي"ياس خضر يكول عليك هذا الأكرع بعده يلحن" رد عليه القرغولي بابتسامة"عاد شلونه هوه شعره أصفر مو" ! ليضحك الجميع،ولتختم الجلسة التي تمناها الجمهور أن لا تنتهي بباقات ورد ودرع الجواهري المقدم من قبل اتحاد أدباء وكتاب العراق قام بتقديمه رئيس ملتقى الخميس الإبداعي الناقد كاظم مرشد السلوم،ثم باقة ورد من نقابة الفنانين قام بتقديمها نقيبها صباح المندلاوي مع باقة ورد من الملتقى وعدة باقات أخرى إلى الملحن المبدع طالب القرغولي.